

حفل تأبين
الأستاذ المرحوم علال الفاسي[1]

فخامة الرئيس

أصحاب المعالي

أصحاب السعادة

حضرات السيدات والسادة

تناولت أقلام الكتاب والشعراء، وألسنة الخطباء البلغاء، حياة فقيدنا علال الفاسي، أجزل الله له الرحمة والغفران، وأسكنه عرصات الجنة والرضوان، مثلما تناولت شخصيته المترامية الأطراف، الواسعة الأكناف، فور انتقاله إلى جوار ربه، وارتحاله إلى دار النعيم المقيم، بالوصف الذي حاول الإستقراء والإستقصاء، والتحليل الذي تاق إلى الإكتناه والإستيعاب، وبالإشادة والتنويه والتحميد والتمجيد، فاجتمع من مدونات المشاعر والعواطف التي أملتها المصيبة والفجيعة، وأهابت بها النكبة والرَّزيئة، ومن مصنفات أحاسيس الإكبار والإجلال والتعظيم والتفخيم باقات أقوال وأقوال، وصحائف مترعة سجال.

وإذا كان القول في ماضي علال بعيده وقريبه قد استفاض واستطال، فإن شخصية الفقيد الغنية المخصاب خليقة بأن تمتد في تشخيصها وتصويرها أمراس النثير والنظيم، حرية بأن تتصفح الأحلام بإمعان ما طبع الله على محياها من أسارير وقسمات، وتتصدى الأقلام باسترسال واتصال لترصيع ما أفاء الله عليها وأفاض من نفائس وأعلاق.

لقد ألهمت الكثير هذه الشخصية الفذة المعطاء، وأوحت بالكثير واستجاشت في الصدور لاعج ألم البعاد والفراق، واستثارت بين الأقارب والأباعد الشعور بفداحة المصاب وجسامة الخطب وجلل الغياب، مثلما أشاعت حسرة الابتلاء بالحرمان والفقدان وخلو المكان ممن كان ملء الأسماع والأبصار والأفئدة والبصائر.

وستظل شخصية علال تجيس الليالي ملهمة للكثير، موحية بالكثير، لأنها معدن لا يَنْفَدُ بعد أمد من الإستمداد قصير، ومنبع لا ينضب على كثرة الإستسقاء والإرتواء، ومنار استوى في الإستمتاع بإشعاعه وانتفاع الأصدقاء من مرتادي حلله وأكنافه، والأصفياء من ملازميه وأصحابه في بأسه وسرائه وضرائه.

لقد أحسسنا كما أحس المواطنون يوم نعاه إلينا ناعيه بأن المغرب فقد باختفاء علال والتحاقه بالرفيق الأعلى أحد أبناء هذا البلد الذين أسدوا إلى وطنهم أعز وأنفس ما يسديه ابن بار لأم برة وأب، وضغطوا على التاريخ ورسموا على مسيله ومجراه طابع التأثير الذي يحدث التغيير وينتهي به المطاف إلى التبديل والتحويل، طواه الردى عنا والأمل معقود بامتداد حبل حياته، وحاجة البلاد ما زالت ماسة إلى غزير علمه، وحكيم تعليمه وتلقينه، ووجيه رأيه وصائب نظره وجميل تأتيه، وحميد مسلكه ومنسعاه، لقد أوجسْنا في نفسنا خيفة من أقسى المفاجآت وأسوإ العواقب عندما ءاذنتنا النذر منذ عامين بمكروه مغبات السقم والإعتلال، ففزعنا إلى التعلات والآمال،

1) كلمة ألقاها السيد الحاج محمد أبا حنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية بأمر من جلالة الملك.

وشاءت إرادة الله أن تؤنس آنذاك بعد الإستيحاش وتنسيء عقد الرجاء، وقد أوشك اليأس بعد الدبيب أن يؤول إلى الإستشراء والإستحكام. ومضى عامان.

نغر بايعـاد الـردى وهــو صادق ونطمــع في وعـد المنـى وهــو كاذب

فلما حم القضاء ووافى الأجل المحتوم واستأثر الله بعبده المتمسك بدينه القويم وكتابه المبين وسنة رسوله الأمين وبان أن لا مرد لأمر الله ولا معقب لحكمه، رأينا حينئذ كيف خبا ضياء الوادي، وعدت العوادي، على من تجرع مرارة النوائب والخطوب من أجل الحواضر والبوادي.

فما أعظم هذه الرزية وما أشنع هذا المصاب، وما أقسى ما مُني به المغرب من خصاص وأصيب به من فراغ، وشد ما يرن في القلوب والآذان من أصداء هذه الصيحة المتعالية في أرجاء الزمان.

واجتـاح ذاك البحـر يطفح موجـه وطـــوى غـــوارب ذلك التيـــار
اليـــوم صرحت النـــوائب كيدهـــا فينـــا وبـــان تحامـــل الأقــــدار

(ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله، كتاباً مؤجلا).

(إنا لله وإنا إليه راجعون).

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير).

حضرات السيدات والسادة :

عرفنا فقيدنا الجليل قبل الإستقلال، وعرفنا من نضاله المرير وكفاحه المتصل الواثق في سبيل التحرير، وعرفنا من علمه الرحب الصحيح ودؤوبه على التحصيل والتبيين ومن أخلاقه وشمائله وفضائله ما أعلق بالنفس

وأرسخ في القلب صورة من أكثر الصور اجتذاباً وأدعاها إلى الإعجاب والإكبار، وعرفنا ما كان بينه وبين والدنا محمد الخامس رضوان الله عليه من وثيق الصلات ومكين الأواصر ومحكم العهود، وما توافق عليه العاهل الراحل والزعيم الراحل وتحالفا عليه مع صفوة المناضلين الذين أخلصوا الوفاء ووطنوا النفوس على الجهاد حرصاً على صيانة الكرامة وتخليص السيادة وطلباً لعز شامخ ومجد وارف.

وكان من آثار هذا الإتصال بين العرش وبين مَن وطدوا العزم على تقريب أرواحهم قرباناً لفدائه وفداء العاهل المفدى لشعبه أن تجلى التماسك أروع ما يكون، والتحالف أشد ما يستحصد يوم طاشت أحلام الخصوم واستحلت الأيدي الغاشمة من الأعمال ما ظنته كفيلا بالتقويض والإستئصال، وكسب الجولة بلا نزاع ولا محال في الحاضر والمآل، وغاب عن أولئك الخصوم أن القوة الحية في هذه البلاد : الملك والشعب لا تستسلم إلى الإستبداد لاجتماع كلمة الملك والشعب على المقاصد والغايات وتلاقي النضال والجهاد على صعيد واحد من الإتفاق والإتحاد.

وكان إبعادُ الملك عن عرشه، وإقصاؤه عن وطنه ووطن أجداده، واعتساف المستعمرين للسيادة بعد إباء العاهل الشهم ورفضه للتفريط في الأمانة، وكانت مبادرة علال لمواجهة التحدي يوم دوى نداؤه في عاصمة الكنانة بالإستنكار والتنديد والوعيد، كل هذا كان إيذانا بثورة عارمة أعادت بأيامها المشهورة وملاحمها المأثورة

الحقّ إلى أهله، وأنشطت الوطن من عقاله، وأراحت عازب ما كان للبلاد قبل الإستلاب والإغتصاب من سيادة وحرية واستقلال.

وشاء الله أن تتوثق عرى الصلات بيننا وبين الفقيد، ويزداد التعارف والتعاطف في مرحلة دعم الإستقلال، وتمهيد سبل التشييد والبناء، وتيسير أسباب الإزدهار والنماء، وكان لهذه الصّلات المستمرة باستمرار الأيام السائرة على سنن مطرد من الإستحكام فضل كبير في توضيح وإبراز ملامح الصورة التي كانت انطبعت في الفكر والوجدان، ونحن إذ ذاك من الشباب في الريعان، وسار تقديرنا لعلال وإكبارنا لجهاده وإجلالنا لسعة علمه وصواب تفكيره المسيرة التي ستنير كل وقت من أوقات الإلتقاء وكل خطوة من خطوات الإستبار والإستجلاء والتحليل والتقييم بنور جديد ويقين وهاج بأن شخصية فقيدنا شخصية جذابة أخاذة ثرية سخية قائمة على أصول لا تحور ولا تحول، كان مومناً أقوى وأصلب ما يكون الإيمان بأمثل المبادىء وأسمى القيم، عالماً بأسرار الديانات والشرائع، واسع الإطلاع على مختلف الحضارات والآداب قديمها وجديدها، ثاقب البصر نافذ الإدراك لمتعدد التيارات والمذاهب طريفها وتليدها، ولكنه كان في شعوره وتفكيره ونضاله وكفاحه وإرشاده وتوجيهه وتعريفه وتثقيفه صباً عميداً بالأصالة والأثالة لا يحيد عن قصدهما ولا يجور، ولا يستسيغ من القديم والحديث والغريب والجليب إلا ما يتطابق ويتلاءم وما كان يومن به من أصالة العقيدة وأصالة الإلتزام وأصالة المناهج.

خاض المعارك وغصنُ الشبيبة غصن غير مهتصر، ومارس النضال وقد وخط الشيب لمّتَهُ فتبارى مكتهل عقله وراجحه ومكتمل إيمانه وراسخه طوال أحقاب الكفاح والصيال، وبقيت نفسه على تعاقب الأيام والآجال غضة الإهاب ناضرة الشباب، وبلغت أقصى العمر وهي كعاب، وانتظمت الطراوة ولف الإكتهال سيرة مليئة بالبطولات، طافحة بالمكرمات، وكتب الله لنا أن تتوافق أهدافنا، وتتشابه مقاصدنا، ويجري بيننا وبينه ما يجري بين الأصحاب من وداد مكين، وألفة صادقة، فسرنا وإياه على وتيرة من التآزر والتضافر والتماسك والتناجد، فكان لنا نعم الظهير، ونعم السفير، ونعم الوزير.

وهاهو فقيدنا الكبير يلج منادح التاريخ من أبوابها الواسعة بعد أن توارى عن العيون، وينتصب في ذاكرة المغرب وخيال المغاربة سواء منهم مَن أسعدهم الحظ فعرفوه معرفة الملازمة والمصاحبة والمشاهدة، ومَن فاتتهم هذه المعرفة فلم يتح لهم أن يصلوا إليه إلا باستملاء جميل الأحدوثة وشائع الذكر ومد الأسباب بينهم وبين ما خلفه من آثار.

أوسع الله لفقيدنا الأجر والثواب، والرحمة والغفران، وبوأه من جنات عدن مقام أوليائه الأطهار، مع الصديقين والشهداء والأبرار.

(الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مئاب).

ألقيت بالرباط

الجمعة 7 جمادى الثانية 1394 — 28 يونيو 1974